

## زَمَنُ الْمَحَالِ يَا شَامُ!



مُهَدَاةٌ إِلَى الدَّمَشْقِيِّينَ الرَّائِعِينَ

الأستاذ الأديب نصر الدين البحرة، والإعلامي المبدع يوسف الأشهب

كَمْ كُنْتُ أُوْتِرُ أَنْ أَكُونَ مُؤَبَّنًا  
مِنْ أَنْ أَرَى أَهْلِي تَقَاتِلَ بَعْضُهَا  
وَأَرَى مَحَطَّاتِ الْفَضَاءِ تَسَابَقَتْ  
وَعَلَى "الْجَزِيرَةِ" نَشْرَةٌ وَمُسْلَسَلٌ  
وَمَوَائِدُ الْأَيْتَامِ مَدَّ حُورَانِهَا  
يَا ذِلَّةَ الْأَحْرَارِ فِي زَمَنِ الْخَنَاءِ  
أَيْنَ الْأَلَى بِالْحُبِّ فَضَّ نِزَاعَهُمْ  
أَلْجَلُ مَنْ "أَفْتَى" بِسَفْكِ دِمَائِنَا  
كُنَّا الْمَلَادَ لِكُلِّ طَالِبِ مَلْجَى  
وَجَدَ الْعَشِيرَةَ حَيْنَ بُدَّدَ شَمْلُهُ  
مَا كَانَ ضَيْفًا مَنْ أَتَاهَا غَائِبًا  
تُرِكَ الْخِيَارُ لِكُلِّ صَاحِبِ مَذْهَبٍ  
كُنَّا الطَّوَائِفَ وَالْمَذَاهِبَ كُلَّهَا  
كُنَّا الْكَنِيسَةَ إِذْ دَعَا نَافُوسُهَا  
كُنَّا إِذَا مَا الرَّكْبُ بَاطَأَ سَيْرُهُ  
كُنَّا مِثَالًا فِي النَّأَخِي يُحْتَدَى  
وَسِعَتْ بِلَادَ الشَّامِ كُلَّ جُمُوعِهِمْ  
فُتِحَتْ صُدُورُ النَّاسِ قَبْلَ بِيوتِهِمْ  
وَالآنَ ضَاقَتْ، أَفْقَلَتْ أَبْوَابُهَا  
هَجَرُوا الْبُيُوتَ وَفِي الْعِرَاءِ تَشَرَّدُوا  
مِنْ أَنْ أَعْرَى يَا لِمُصَابِ الشَّامَا  
وَأَرَاهُمْ جَعَلُوا الْبِرَاعَ حُسَامَا  
لِنَبْتٍ مِنْ مَاسَاتِنَا أَفْلَامَا  
فِيهَا مِنَ النَّمْتِيلِ فَصَلُّ "دَرَامَا"  
وَأَرَى وَجُوهَ الْمَانِحِيهِ لِنَامَا  
فَمَعَ التَّعْهُرُ لَا أَحِيرُ كَلَامَا  
وَعَلَامَ أَضْحَوْا قَاتِلِينَ عِلَامَا!  
وَبَجْهِنَا رُحْنَا نُحِلُّ حَرَامَا!  
نَشَدَ الْأَمَانَ فَأَمَّمَا فَأَقَامَا  
وَالْبَيْتَ أَهْلًا وَاللِّقَا إِنْعَامَا  
بَلْ وَاجِدًا كَالسَّائِكِينَ تَمَامَا  
كُنَّا لِمَنْ حَضَرَ الصَّلَاةَ إِمَامَا  
مَهْمَا تَقَارَبَ قَصْدُهَا وَتَرَامَى  
كُنَّا الصَّلِيبَ مَعَ الْهَلَالِ تَسَامَى  
نَعْدُو لِمَنْ رَادَ الْمُضِيَّ أَمَامَا  
نَرَعَى لِمَنْ أَمَّ الشَّامَ ذِمَامَا  
يَطُؤُونَ سَهْلًا قَادِمِينَ كِرَامَا  
لَمْ يَنْصُبُوا لِلْوَافِدِينَ خِيَامَا  
وَالْأَهْلُ فِيهَا حَائِرُونَ يَتَامَى  
وَتَقَطَّعُوا فِي لَجَاةٍ أَرْحَامَا

وَعَدَا الْبِنَاءُ مُهَدَّمًا وَحُطَامًا!  
فَتَبَدَّدَتْ أَحْلَامُنَا أَوْهَامَا!  
وَجَمِيعُنَا عَمَّا جَرَى يَتَّعَامَى!  
فَالنَّصْلُ أُعْمِدَ فِي الْفُؤَادِ وَغَامَا  
وَيَظُنُّ يَبْلُغُ فِي الْقَصِيدِ مَرَامَا  
كَابْوَسُهُ جَعَلَ الْفَنَّا أَحْلَامَا  
فَأَنَا الَّذِي فِي عَشْقِ أَهْلِكَ هَامَا  
وَعَلَيْكَ أَحْسَنَى مَا يُخْطُ خِنَامَا  
فَالْعَيْشُ أَيْسَرُ مَا يَكُونُ جَمَامَا  
أَرُدُّ مِنْ بَعْدِ الرِّثَاءِ سَلَامَا!

عَلَامَ يُفْضَى كُلُّ ذَلِكَ بَعْنَةً  
هَلْ لَعْنَةُ الْأَقْدَارِ حَطَّتْ رَحْلَهَا  
أَمْ أَنَّنَا نَخْتَارُ مَا يُؤَدِي بِنَا  
يَا شَامَ عَفْوِكَ إِنْ أَتَيْتُ مُؤَبَّنَا  
فَمِنَ الْغَرَائِبِ أَنْ يُؤَيِّنَ مَيِّتُ  
إِنَّا لَفِي زَمَنٍ مُحَالٍ وَصَفُهُ  
يَا شَامَ عَفْوِكَ إِنْ أَتَيْتُكَ مُحَبَّبًا  
أَرْتُو بِصَمْتٍ إِذْ أَرَاكَ كَلِيمَةً  
وَاللَّهِ لَا عَيْشُ بِدُونِكَ يُرْتَجَى  
يَا شَامَ مَاذَا قَدْ أَقُولُ مُوَدَّعَا؟

أحمد عيد مراد

[editormurad@bell.net](mailto:editormurad@bell.net)

أوتاوا- 2013/03/24

